من تراب الطريق! (٢٣٨) شر البلية ما يضحك! (*)

ذكرنى بشر البلية، انجذاب الكاميرا الإعلامية انجذابا مريضا لكل نافه مخالف للأعراف استسلاما لحكمة قديمة، قالها أريب خبيث : " خالف تعرف " ! .. لا يهم فى ماذا ولا بماذا تخالف . المهم أن تخالف فتعرف وتنجذب إليك الأنظار ومعها الاهتمام !

كان ظنى أن ذلك محصور فى جمهور الناس .. فى السذج والبسطاء والسطحيين، ولم يدر بخلدى أن يسرى ذلك على المنوطين بتكوين " عقل الأمة " وما يستخدمونه من الكاميرات والأفلام الإعلامية .. والأدهى أن يجرى ذلك فى أمهات المسائل المتعلقة بالمصير المقول بأنه جارى نظره والبت فيه - فى مؤتمر القمة بالدوحة !

الفرض أنه مؤتمر جامع للقمم العربية، والفرض أن كل قمة من هذه القمم هو غاية المراد والمرام والمأمول والمتمكن والمتصرف فى بلده .. إذا استقام عوده استقام شعبه .. وإذا استقام تصرفه ومسلكه حذا الشعب حذوه، وتأسّى به .. والفرض أن هذا الجمع من صفوة الأمة العربية قد تركوا أقطارهم وذهبوا إلى الدوحة لجدٍ لا لهزلٍ، وأن الكاميرا والتغطيات الإعلامية ذهبت إلى هناك لترصد الجد لا الهزل، وتتلمس القيمة والفعل من قيم ومواقف ومعطيات هذه القامات !

لذلك فقد صدمتنى تعليقات ملأت صحفنا ومجلاتنا، أن الأخ العقيد خطف الكاميرا من الرئيس البشير! .. ولم أفهم لماذا تكون الكاميرا منجذبة

(*) المال ٢٠٠٩/٤/٦

للبشير ؟! إننى لا أتعاطف مع " شخص " الرئيس البشير، ولكنى متعاطف تعاطف المضطر - ضد القرار الصادر من الجنائية الدولية بتوقيفه وملاحقته، لا لأنه مظلوم أو كامل الأوصاف، ولكن لأنه رئيس عربى وصار شنق وملاحقات الرؤساء العرب - ماسًّا حتى النخاع بكرامة كل العرب، ودالاً على أنهم صاروا فى هذا الزمن الكسيح ملطشة كل مَنْ هب ودب، وملطشة الغزوات الأنجلو أمريكية، والبطشات والغارات الإسرائيلية، وملاحقات وتوقيفات المحكمة الجنائية الدولية !

إن الرئيس البشير الذى نتعاطف ضد القبض عليه تعاطف المضطر - لم يحسن التصرف فى دارفور، وهو لم يحسن التصرف أيضا فى مشهد الطبل والزمر والرقص الذى يديره فى السودان ! .. قد تتبع الكاميرات هذه المشاهد الطريفة لتسلية المتلقين، ولكن ظنّى أن الكاميرات الإعلامية فى مؤتمر القمة ! - لا ينبغى أن تنجذب إلى الطرائف وإنما إلى الجواهر إن كانت هناك جواهر !

لذلك فقد دهشت لماذا كان يمكن أن تنجذب الكاميرات إلى الرئيس البشير لولا أن غطّى وزاد عليه وخطف الكاميرات منه : الأخ العقيد ! ظننت للوهلة الأولى أن الأخ العقيد قد أتى بما لم تأت به الأوائل، وتفتق ذهنه عما يقيل الأمة العربية من عثراتها المزمنة، ويقويها على الأخطار الداهمة المحدقة بها، ولكنى وجدت أن الكاميرات انجذبت " لخيمة وأزياء " الأخ العقيد . أوصاف الخيمة الفخيمة التى صنعت خصيصاً بإيطاليا أو ألمانيا على غرار الخيمة التى يشغلها فى الجماهيرية، فى حراسة الحرس النسائى الشهير . وأوصاف الأزياء اللافتة التى يصممها فخامته بنفسه .. ما بين البدلة البيضاء التى وصل بها إلى مطار الدوحة، والعباءة الليبية، والطاقية البنّية الفاتحة اللون، والنظارة السوداء، ثم فى الختام العباءة ولكن بطاقية سوداء، مع الشال البنفسجى فى أخضر وأصفر !

ما علينا من الخيمة والأزياء، لا بد أن الأخ العقيد اتخذ مواقف مصيرية تجذب جميع الكاميرات .. نقلت عنه هى والميكروفونات أنه قاطع

رئيس القمة أمير قطر وانتزع منه الكلمة انتزاعاً لأمر جلل .. أن ينادى على ملك السعودية - والغريب أنه بنيّة المصالحة ! - ليقول على الملأ الدى تتابعه وتسمعه وتشهده الدنيا : " احتراما للأمة أعتبر المشكل الشخصى الذى بينى وبينك قد انتهى، وأنا مستعد لزيارتك، وأنك تزورنى " .

ولو سكت الأخ العقيد عند هذا الحد، لكانت العبارات جديرة فعلا بالالتفات، والمشهد جديراً فعلا بجذب الكاميرا وسرقتها من الرئيس البشير ! ولكن الأخ العقيد أكمل يقول على مرأى ومشهد ومسمع من العالم : " أنا قائد أممى وعميد الحكام العرب وملك ملوك أفريقيا وإمام المسلمين .. مكانتى العالمية لا تسمح لى بأن أنزل لأى مستوى آخر " !

يا ألطاف الله ! لقد كنا نضحك ملء أفواهنا من التصميم على وصف لاعب كرة مصرى بأنه عميد لاعبى العالم، فإذا بنا نشاهد حاكما عربياً يسبغ على نفسه هذه الصفات التى لم تجتمع لعمر بن الخطاب، ولا لأحد من الراشدين أو عظماء التاريخ ! .. هو مرة واحدة كده : القائد الأممى وعميد الحكام العرب - ناقص أن يقول وكلهم ركش - وملك ملوك أفريقيا - مع أنه رئيس وليس ملكا - وإمام للمسلمين .. وبلاش شيخ وشيوخ الأزهر والهيئات الإسلامية فى السعودية وغيرها من أقطار الإسلام، فقد صار الأخ العقيد إماما للمسلمين، على ماذا ؟ ليس يهم ! المهم أنه إمام المسلمين فضلا عن القيادة الأممية والعمادة وتقلد عرش ملك ملوك أفريقيا!

لم يدهشنى ما فعله الأخ العقيد، ولا انصرافه فوراً من بعده تاركا المؤتمر والمجتمعين والموضوعات المزمع بحثها فى مصير الأمة، ليذهب لزيارة المتحف القطرى لإراحة أعصابه من هذه الخطبة العصماء، وإنما الذى أدهشنى هو " انجذاب " الكاميرات الإعلامية العربية التى يبدو أنها قد أصيبت بعمًى ضرير لم تعد تفرق فيه بين الهزل والجد، وبين ما يُتابع ويُنقل ليضيف شيئا جادا نافعا مجدياً إلى هذه الأمة المبتلاة، التى صارت بأسرها فى مشهد مضحك، ولكنه ضحك كالبكاء !!